حكم تكوين الفرق والجماعات داخل المجتمع المسلم

د. عبد الباسط محمد أمين سليمان

إن المآل الذي آل إليه حال المسلمين الآن من تفرق وتشتت وتشرذم لا يرضى أحدًا من أتباع ذلك الدين أبدًا، ويتناقض كل التناقض مع دينهم الذي أراد منهم أن يكونوا أمة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، حيث إن جميع مقومات وحدتهم موجودة في دينهم، فكيف يتركونها ويتخلون عنها؟؟!.

وإن كل غيور على دينه لا يرضيه ما عليه المسلمون الآن، وإن الله عز وجل لن يغير ما حل بنا إلا بعد أن نغير ما بأنفسنا من بُعد وانحراف عن دين الله وتفرق فيه قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] .

وتغيير أنفسنا يكون بفهم ديننا الفهم السليم، والالتزام بمبادئه وقواعده الالتزام الكامل قال ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكت به فلن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتي".

وقد ذم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والسلف الصالح جميع أشكال وأنواع الاختلاف والتفرق في الدين الذي يؤدى إلى العداوة والبغضاء بين المسلمين، ويفرق أمتهم ويجعلهم شيعًا وأحزابًا.

ونحن نعني بالتفرق كل ما يؤدي إلى شق عصا المسلمين، وتفرقهم، سواء كان ذلك في الفروع، أو الأصول، وذلك يشمل الفرق الإسلامية، وما يسمى بالجماعات الإسلامية، وكذلك يشمل المتعصبين للمذاهب الفقهية.

فقد نص القرآن الكريم على أن الأمة الإسلامية أمة واحدة قال تعالى:﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وحرصًا منه تعالى على وحدة الأمة، أمر بتقوى الله عز وجل والاعتصام بكتابه وعدم التفرق فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

ففي التفرق والاختلاف ذهاب للوحدة المقصودة قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وإذا كان الله عز وجل قد أمرنا بالاعتصام ونهانا عن التفرق، فإنه تعالى أيضًا قد فرض علينا أن ندعوه فى الصلوات الخمس وما يلحق بها من سنن رواتب ونوافل بقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

وهذا الصراط الذى أمرنا الله تعالى بتحريه والحرص على طلبه، هو أيضًا الذى أمرنا باتباعه فى قوله تعالى:﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولقد أوصى الله عز وجل أنبياءه بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٣].

فالتفرق في الدين مذموم في جميع الأديان، وقد شدّد الله عز وجل على عدم التفرق في الدين وتوعد من أقدم على هذا الفعل فقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فلقد ذم الله تعالى أهل التفرق والاختلاف كما مرّ علينا، وبرأ رسول الله ﷺ منهم، وذلك لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التى هى: الإسلام المحض الذى هو: إخلاص الدين لله عز وجل قال تعالى:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

وأهل الإسلام المحض لا يختلفون ولذلك استثناهم الله عز وجل من أهل الاختلاف فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

﴿ إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود:١١٨- ١١٩].

فالاعتصام بكتاب الله وعدم التفرق هو أصل عظيم من أعظم أصول الإسلام، وفيه درء لكثير من المفاسد والفتن، ومن أجل ذلك عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، وعظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ممن شابههم وشاكلهم من هذه الأمة.

ومن أراد المزيد عن هذا الأمر فليرجع إلى تفسير القرطبي وابن كثير والمنار لمحمد رشيد رضا، وإذا كان القرآن الكريم كما مرّ علينا قد ذم التفرق، والاختلاف، وأمرنا بالاعتصام، والاتحاد؛ فإن السنة النبوية الشريفة - هي الأخرى - قد ذمت التفرق، والاختلاف، والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، وأمرت بالتزام جماعة المسلمين، وإمامهم، وعدم مشابهة المشركين وأهل الكتاب في التفرق، فهذا الرسول ﷺ يتنبأ بحال الأمة من بعده، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" [حسن صحيح]..

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة،

فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله من تلك الفرقة قال: الجماعة".

وإذا كان الحديث السابق قد ذم التفرق وأهله وحكم على المتفرقين بأنهم على ضلال وهلكى وأن النجاة في الجماعة والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاقتداء بصحابي النبي ﷺ فإنه قد حذر في أحاديث أخرى من الفرقة وحث على الجماعة.

۞۞۞